المنار

يبين الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

يبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ومنارة كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٢ — ١٨ مارت (آذار) سنة ١٩٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا إليه النشور ، وهو الذي أحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور ، أحيانا بنفخ الروح التي تخلق الإرادة الحرية ، ثم أماتنا بالاعراض عن تلك الهداية السماوية ، أحيانا بعد قرون ، وأماتنا بعد قرون ، فاسأله اتمام وعده المشار اليه في الآية الكريمة ، بأن يؤيدنا بروح منه وينزل علينا السكينة ، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله ، رسول الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بتأييد دعوته ونصرة حزبه .

وبعد فقد دخل المنار في العام التاسع من حياته وهو سن التمييز في الحياة الشخصية ولعل حياته تكون في هذا الطور خيرا مما قبله ان شاء الله تعالى ، فاذا كان في طفولته قد نجا من الماكرين ، وانتصر على المعاندين ، وفي الصفحات الاولى من هذا الجزء بيان ذلك ، فلرجاء بفضل الله وعنايته ان يحمله في طور التمييز من عمره قوة تنصره وأكثر مددا ، وما بلغ المسلمون من الضعف والتخاذل الا لان [illegible] من حقيقة دينهم الى الصحف السياسية ، كيف وهم يرون [illegible] ، فقصد [illegible] وقد سبقتهم في انشاء الصحف الدينية التي ميزوا بها كثيرا من [illegible] بلغة العربية فما بالك بسائر اللغات وهي لغات القوم الاصلية .

بل ان جميع الامم والشعوب قد سبقوا المسلمين في جميع الاعمال الاجتماعية التي ملاكها التعاون لا في

الصحف المالية فقط والتعاون فرض في ديننا مأمور به في كتابنا ولكن أين نحن من الكتاب وفرائضه . فيا ليت الذين لا يعاونون العاملين منا للامة لا يخذلونهم ولا يعارضونهم في أعمالهم ومشروعاتهم . كلا انا نحن أعداء أنفسنا . وانا نحن مرض أمتنا . وانا نحن آفة نجاحنا . ولو عقل الذين يشكون من الاجانب لشكوا من قومهم ، ولو شعر الذين يشكون من أخوتهم لشكوا من أنفسهم .

أرأيت هذا المنار الذي انشيء لخدمة الامة والدفاع عن الملة . انه ليطالب الذين ينكرون فائدته أو يدعون مضرته بأن يبينوا له وجه الضرر ليتقيه ، ووجه النفع ليتوخاه ، وانا لا يطالب الذين يقولون انه نافع ولا الذين يقولون انه اصلح ما يكتب المسلمون في هذا العصر بأن يتبرعوا له بمال لتوسيع دائرته وأولى بادادته ، وانما يرضى منهم باداء حقه ، وحقه على جميع قرائه أداء قيمة الاشتراك التي هي قوام العمل وأداته التي لا يوجد الا بها ، وحقه على الخواص منهم الدعوة اليه والترغيب فيه عندما تسنح لهم الفرص ويخاطبون من يتوسمون فيه الاستعداد

لست أعني بالخواص الاغنياء ولا كبار الموظفين ، فان منهم من يملك الالوف وعشرات الالوف من النقادين أو الدنانير ، وهو يماطل في دفع قيمة الاشتراك عدة سنين . وانما أعني بهم كل من له عقل يتفكر به في مصلحة الامة ، وقلب يشعر به في الشرف والفضيلة . أولئك هم خواص الامم الذين لم تنجح امة الا بكثرتهم فيها

لا يكثر في الامة العلماء المفكرون الا بالتعليم العالي ، وأنى لنا به ولم ترق هذه البلاد الى ان يكون فيها مدرسة كلية ، ولا يكثر في الامة اهل الشعور بالشرف حتى ترتقي التربية النفسية فيها ، وأنى لنا بذلك ولم ترق معارف الناس الى ان يفصلوا بين التعليم وبين التربية ، فترى كبراءنا وأذكياءنا يتعصبون بالقاب العلمية نفرا من الناس تلقوا شيئا من التعليم العصري الناقص وأغلاهم تربية في عرفهم من دخل في مدارس أوربا وان كان أكثرهم كما يعرف العارفون في اخلاقهم واعمالهم لا سيما الذين تعلموا في فرنسا منهم

ان ارتقاء الفكر والشعور لا يعرف الا بأثره في العمل للامة . فاذا قلنا ان خواص الامة هم العاملون لها المخلصون في خدمتها ، الذين لا يشترون مصلحتهم بمصلحتها ، فكم رجلا نعد من هؤلاء فينا ؟ هل نعد منهم من يرى منتهى الشرف ان يشتري رتبة يغريا بحلتها ، او وسمة تزين بحليتها ، ؟ هل نعد منهم سماسرة الرتب والاوسمة الذين يأخذون عليها الاجور من اهل الدور ثم يطرونهم بالاماديح قائلين لهم ما وصلوا الى هذه المعالي والحلل الا باخلاصهم للبلاد ولسيد البلاد ورمز الامة ! هل نعد منهم الذين يقولون ويكتبون ما يراه غيرهم حسنا وان رأوه قبيحا ، ويدعون الى ما يشعر غيرهم بفائدته اولذته وان كانوا يشعرون بغائلته ومرارته ، هؤلاء هم الذين ورد في امثالهم « لهم قلوب لا يفقهون بها » وانما يفقهون بقلوب من ينتفعون منهم « ولهم آذان لا يسمعون بها » وانما يسمعون بآذان من باعوهم حواسهم ومشاعرهم كما باعوهم ألسنتهم وأقلامهم ، « أولئك كالانعام بل هم اضل » لانهم خرجوا عن فاتون فطرتهم بما اوتوه من الدماء والانعام لم تخرج عن الفطرة ، ولان في الانعام منافع للناس وهم ضررون للناس « اولئك هم الغافلون » عما يأتي بأمتهم ويزل بها من النصائب بافسادهم لا خلاقها ، وشعورهم لوجدان الفضيلة والشرف المنبثق منها ؟ ويا حسرة على امة تعد هؤلاء من خواصها ومن مرشديها .

الخواص هم اصحاب الاخلاق والشمائم وهم الذين ينهضون بالامم في كل عمل نافع فالامم أكثر عددهم فيها ، ووفقنا الله جميعا للاحسان في العمل ، والتعاون على البر والتقوى ، ولا اخلاص لك في السر والنجوى ، عسى ان نكون من المفلحين ؟

منشيء المنار ومحرره

محمد رشيد رضا